

الحديث الديني الذي ألقاه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني في ختام سلسلة الدروس الحديثية لشهر رمضان

شرح الحديث النبوي الشريف :

«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان».

باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مولانا محمد خاتم النبيئين والمرسلين.

«ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً» «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

معشر السادة والأساتذة :

رأيت من الواجب علي، أن أقوم بإلقاء حديث، (ولو حديث فضولي متطفل) عند انتهاء الدروس الدينية التي تقام كل سنة في شهر رمضان. وقد آليت على نفسي ألا أرجع إلى مرجع ولا أطالع كتابا أو تفسيرا أو تأويلا، حتى يكون حديثي هذا بمثابة امتحان لي ولجيلي، ذلك الجيل الذي قضى أكثر أيامه في الكفاح، ذلك الجيل الذي حجبت عنه حضارته، ومنع من ثقافته، ذلك الجيل الذي كان يذهب إلى الدرس وإلى التعليم خلسة خفية من الأعداء ومن المستعمرين.

فإذا وفقنا الله سبحانه وتعالى أمكننا أن نقول ان جيلنا ــ رغم ضيق علمه وعدم اتساع اطلاعه ومعرفته أمكنه باجتهاده وبمقارناته أن يعلم ولو النزر اليسير من الديانة الاسلامية والسنة النبوية، وان نحن لم نوفق والعياذ بالله ــ فسيكون ذلك لنا حافزا على أن نسعى دائما وراء العلم ونعاشر أهل العلم ونجالسهم، حيث أنه يقال : **«لا حد للكمال، ولا نهاية للفضيلة».**

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، روي الترمذي في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان».**

وإننا سنحاول في تفسير هذا الحديث والله المستعان، سنحاول أن نبين جوانبه من حيث مبانيه ومعانيه، وكذلك من حيث انه وضع في شطره الأول قاعدة عامة مطردة، وفسرها بتطبيقاته.

يمكننا أن نقول بأن الشطر الأول هو القسم التشريعي منها، وأن الشطر الثاني هو القسم التنظيمي الذي

ينظم المجتمع الاسلامي، والسلط الاسلامية ويضع كل سلطة في يد من يجب أن تكون له سلطة، وكل اخبار في يد من يجب عليه الاخبار. «**والدين النصيحة**» وتجعل المسؤولية في يد كل مسلم مسلم في سلوكه وتصرفاته إذ «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

الملاحظة الأولى : الملاحظة الأولى تذكرني بآية من القرآن. وهي «**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**» لما سمعها الصحابة بكى أبو عبيدة الانصاري. وقال : **يا رسول الله** : «**من لا يقع له سهو في صلاته ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك قال الله : عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم ساهون، واتبعها : الذين هم يراءون ويمنعون الماعون» فكانت هذه الآية رحمة بالمؤمنين**. كذلك ، لو قال النبي صلى الله عليه وسلم فقط من رأى منكم منكراً فليغيره فقط، لكان ضرر هذا الحديث ظاهر أكثر من نفعه إذ لأن الفتنة أشد من القتل. ولكان النبي صلى الله عليه وسلم فتح من غير قصد لهذه الأمة باب الانتقام، وباب الشهوات، وباب الفوضى.

إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان أعلم الناس بأمته، وكان أعلم الناس بما يريده الله لها من خير وتنظيم وأنظمة، أضاف «**بيده**» ثم «**فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان**».

الملاحظة الثانية في الشكل : نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**من رأى....**» ولم يقل من سمع وعلم. والسبب في ذلك أن الدين الاسلامي هو دين الحشمة الجماعية والاجتماعية. فمنع علينا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أن نأتي المنكر والفواحش بكيفية إباحية أمام الناس، في الشوارع، في المكاتب، في المعامل، وفي المجتمعات. بل قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**من ابتلى منكم بهذه القاذورات فليستتر**».

وأزيد أيضا أنه حتى في لفظ «رأى» حكمة خاصة فقد منع الله علينا الوشاية والنميمة، وهناك شيء آخر أريد أن أنبه عليه، وهو أن الرؤية هنا لا تكفي فيها الرؤية بالبصر ولكن الرؤية بالبصيرة أيضا. وقضية موسى مع الخضر عليهما السلام، تصور لنا هذا. فلو أننا لم نر من أعمال الخضر عليه السلام إلا ما قام به، لقلنا هذا منكر، إنه منكر، بمجرد الرؤية رؤية الحاسة بالعينين. لكن لما نفذنا ونفذ سيدنا موسى إلى الأغراض الحقيقية التي دفعت الخضر عليه السلام إلى أن يغرق السفينة، ويقتل الغلام، ويقيم الجدار فهم إذ ذاك أن من وراء الشيء الذي يسميه «منكر» حسنات جليلة، قام بها مولانا الخضر عليه السلام.

«**وذلك أضعف الايمان**» لا أعتقد شخصيا أن «جوهر» الايمان يزيد وينقص، قيل ان الايمان يزيد وينقص ربما الذي يزيد وينقص هو التعبير عن الايمان وما يشكل مظاهر الايمان من عبادات وأخلاق. أما الايمان نفسه فإما أن يضعه الله في القلب، وإما أن ينتزعه من القلب هذا مذهب مؤمن مسلم اجتهد أمام الله، وإن كان لا يقول بزيادة الايمان يرجو الله سبحانه وتعالى أن يزيد في إيمانه ومعنى ذلك أن يزيده طاعة على طاعة، واستقامة على استقامة.

ومعنى أضعف الايمان أي ذلك هو الحد الأدنى الذي يطلب من كل عضو في المجتمع.. ذلك المجتمع الذي خلقه الله في صورة تعاقد جماعي أو ترابط بين فرد وفرد، وبين الجماعة والفرد، بين الدولة والجماعة، بين الدولة والأفراد، ذلك هو الحد الأدنى الذي يتطلب من ذلك الشخص الذي تعاقد مع إخوانه، ومع مجموعة إخوانه، ومع كيان دولته، ومع أنظمتها.

فلنحاول الآن تفسير الحديث ــ وتفسيري هذا لن يكون تفسيراً فقهيا أو تفسير علماء الحديث فأنا ــ

وأعوذ بالله من قول «أنا» — مازلت طالب علم وتلميذا لكم ولكن سأحاول أن أفسره على ضوء فصل السلط، وعلى ضوء تنظيمها، وذلك شغلي، فأهل مكة أدرى بشعابها، لذا سأتناول الحديث من هذا الباب.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**من رأى منكم منكرا فليغيره**»...

«**رأى**» سبق أن شرحنا معنى «**رأى**» أما «**فليغيره**». هنا لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : من رأى منكم منكرا وجب عليه أن يغيره. لأن ذلك ربما يقتضي التمادي أو التماطل في التغيير. بل «**لام**» الأمر.. والمضارع يقتضي كل ذلك الفور في التغيير، والفور في العقوبة، بل المضارع يقتضي التجديد أي كلما رأيتم منكرا فغيروه في الحين حتى لا يستفحل الأمر، وحتى لا يعظم الشيء، وحتى لا تصبح الأمة في مصيبة والعياذ بالله...

«**منكرا فليغيره...**» وما هو المنكر ؟ يقول الفقهاء، وهنا بحثت — وأقول الحق — عن تعريف العلماء للمنكر.

. يقول مجموع الفقهاء ان المنكر هو ما تنكره الشريعة بكيفية عامة وأنا أقول ان المنكر هو ما تنكره الأخلاق الاسلامية، إذ النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» وتتميم مكارم الأخلاق يتضمن بالطبع وبكيفية مسبقة تتميم الشريعة.

فكل ما تنكره الأخلاق الاسلامية فهو منكر.

ولكن كيف يمكننا إذن أن نميز بين الخبيث والطيب ؟ والصالح والطالح، بين الحلال والحرام ؟ أولا أن نكون على بينة مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كان على لسان ربه في كتابه العزيز، أو ما جاء في الأحاديث القدسية منها والنبوية، وذلك الاطلاع يقتضي منا أن نكون قد ألممنا بجوانب كثيرة من الديانة الاسلامية وبالفقه الاسلامي، وبالأخص كذلك ما يتصل بالمعاملات. أما العبادات فهي في مجملها واضحة.. وبذلك يمكننا أن نميز بين الخبيث والطيب، والصالح والطالح، وبين المنكر وما ليس بمنكر وبين الحلال والحرام.

في إمكان الله سبحانه وتعالى وهو القادر على كل شيء والمحيط بكل شيء — أن يأتينا صحبة كتابه وقرآنه بلائحة فيها تعداد ما هو حلال وما هو حرام، كما تأتي مناشير الجمارك، أو مناشير الضرائب، هذا منشور حلال، وهذا منشور حرام إلا أن الله سبحانه وتعالى أبى الا أن تكون الديانة الاسلامية ديانة تكريم للعقل البشري، ديانة تجعل من المسلم رجلا مسؤولا عن أعماله، مسؤولا عن نياته، مسؤولا عن مضاعفة أعماله ونياته، آتاه الله فكراً، آتاه عقلا، فلم تكن له الديانة بمثابة الحاجب، بل كانت له بمثابة الشيء الذي فتح له آفاق الاجتهاد وآفاق التمييز.

لذلك أخبرنا الله — سبحانه — انه له حدودا نهانا عن تعديها، «**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**» وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو كما قال : — لا أحفظ الحديث عن ظهر قلب — «**الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها إلا الله. فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه**».

هنا نرى أن هناك حدا للحرام وحدا للحلال أن هناك فسحة تضيق وتتسع حسب المواضيع، تضيق وتتسع لتفتح أمامنا باب الاجتهاد.

ولكن يمكن لقائل أن يقول : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «**إني تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**» ربما الحديثان فيهما تناقض، هنا.. الحلال بين، والحرام بين، وفسحة

بينهما، وهنا الليل والنهار المحجة البيضاء. في الحقيقة الحديثان غير متناقضين لأن الطريقة طريقة الاجتهاد، والفسحة جاء بها القرآن في عدة آيات وبالأخص آية **«تشبيه الليل والنهار»**، كما في هذا الحديث **«ليلها كنهارها»** وحينما يقول لنا الله سبحانه وتعالى : في أي وقت يجب علينا أن نبدأ الصيام ؟ **«حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» فهنا يدخل الليل، وهنا يدخل النهار، فقبل أن تكون الساعات وقبل أن يكون ضبط المواقيت كان المسلمون يجتهدون في تقدير ذلك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، بمعنى الليل والنهار. فكيفما كان الحال : الاجتهاد ممكن وجائز وواجب في هذا الباب، أما «الشبهات»** الشبهات هي ما تشابه في الانسان كل ما من شأنه أن يوهمه أن الشيء حلال والحالة أنه حرام والعكس بالعكس. أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نتقي الشبهات. وفي ذلك أعطانا الله سبحانه وتعالى قاعدة إذ قال : **«فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»**.

فإذا أوجب الفتوى على العلماء أوجب كذلك السؤال على المسلمين غير العلماء. فبهذا يكون الله سبحانه وتعالى ألقى المسؤولية كلها على عاتقنا، إذ من جهل منا شيئا فليستفت فيه العلماء العالمين بمسائل الدين ومسائل العقيدة، ومسائل العبادات ومسائل المعاملات.

ومن الطف ما يروي في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو النبي المصون، النبي المعصوم الذي قال فيه الله سبحانه وتعالى : **«ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك»** وفي تعبير **«وضعنا»** حكمة ظاهرة، فلو كان قال **«رفعنا»** لاختلف المقصود والمدلول، ولكن **«وضعنا»** بمعنى أن الوزر قد انتفى عنه سلفا فهو معصوم.

ومع ذلك فانه صلى الله عليه وسلم اتقى الشبهات.. (يروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتته صفية زوجته **فكان يحادثها فإذا بانصاريين يمران. فناداهما النبي صلى الله عليه وسلم ان اقتربا فقال لهما :** إنها صفية زوجتي **قالا له أفيك يا رسول الله ؟ قال : لا. ولكن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.**

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو الرسول المصون والنبي المعصوم قد اجتهد وجاهد نفسه على ألا يقع في الشبهات فما بال المسلم العادي الذي يعيش في القرن العشرين وبالأخص، والذي هو معرض كل يوم، وكل لحظة لأن يقع في مصائب وفي مشاكل.. بل ان مواطن الزلق ومواطن الضعف كثرت في عصرنا هذا وتضاعفت.

فيجب علينا إذن — في تعريفنا للمنكر، وفي معرفتنا للمنكر — أن نميز، بين الحلال والحرام وأن نجتهد في تلك الفسحة التي تركها لنا الله على ألا نقع في المنكر وفي الحرام.

والآن لندخل للناحية التنظيمية والتشريعية وناحية فصل السلط من هذا الحديث. **«فليغيره بيده»** وتفسيري أنا شخصيا بكل تواضع، **«بيده»** بمعنى بالسلطة التي آتاه الله والتي يمكلها بكيفية شرعية لا بكيفية غير شرعية فالمجتمع مبني على تنظيم السلط وفصلها هناك الشرع سواء أن يكون اماما أو يتخذوا القوانين التنظيمية والقرارات التي تجعل ذلك التشريع نافذ المفعول سهل التطبيق حتى يمكن لكل ذي سلطة أن يطبقه دون أن يقع في زلل أو خطا. وهناك تحت الوزراء السلطة الادارية التي تشمل الموظفين الكبار والصغار والقواد وأهل الجبايات والنظار والقضاة وسواهم من الموظفين الكبار والصغار.

«بيده».. بمعنى إذا كان لك أيها الامام أو أيها الملك أو أيها الرئيس تلك السلطة التشريعية، ورأيت ببصرك



وببصيرتك أو على لسان مخبريك.. والحقيقة أن اللسان اليوم قد أصبح يتمثل أيضا في الهاتف والتلفزيون والراديو حيث أصبح يمكن للرسائل أن تصل بسرعة.

إذا رأيت هذا المنكر أو رآه من ينوب عنك — وعلمته ولم تغيره فسوف تكون إذ ذاك مذنبا مجرما بالنسبة لله أولا، وبالنسبة لذلك المجتمع الذي جعلك الله عليه قيما وراعياً ومسؤولا، وإن غيرته فأنت من المؤمنين المسلمين الذين إذا تحملوا الأمانة كيفما كانت هذه الأمانة جسيمة أم صغيرة حملوها بصدق وأمانة.. وتلك الأمانة التي وردت فيها وفي قيمتها أحاديث كثيرة. ومن أجلها، اعتقد، لا دين لمن لا أمانة له.

نرى هنا.. أن التغيير باليد يدخل في مفهومه الدولة، الملك والرئيس والوزراء، والولاة والقواد، والموظفون كلهم، والقضاة.

وأما «**بلسانه**» — **فإن لم يستطع**.. أي فإن لم تكن له هذه السلطة «ماشي لم يستطع أن ينفذ السلطة، لا ويقوم لها، بل لم تكن له هذه السلطة، **فبلسانه** — واللسان هنا الاخبار أو الكتابة» عليه أن يكتب إلى عامل الاقليم أو إلى والي المدينة أو إلى قاضي القرية أن يكتب له **ويمضي كتابه، أو يبلغه بواسطة الهاتف، وهو اللسان**» المنكر الذي رآه وشهده وشاهده حتى يمكن للقائمين على الأمر أن يغيروا ذلك المنكر.

«**فإن لم يستطع.. فبقلبه**».. ما معنى بقلبه، لا أعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال : بقلبه قصد القلب. لأنه ليس من شيمة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من عبقرية الاسلام أن ننطوي وننزوي ونكون كالرهبان نتعبد ونستغفر لغيرنا بل حتى في «**قلبه**» أراد بذلك عملية إيجابية وحركة.. بمعنى «بخلقه في نظري.. بسيرته، فليكن مواطنا صالحا موظفا تقيا، رجلا نزيها في أمانته، رب أسرة لا يقوم بأي منكر ولا بأي فاحشة وبكيفية عامة «بقلبه» بمعنى مظاهر حياته العامة أو الخاصة.

إذ يمكن للانسان أن ينصب نفسه «مثلا» في بيته، قبل أن يكون مثلا لأصحابه خارج الدار «**وانذر عشيرتك الأقربين**».

وبأمس الأمس، سمعت عالماً جليلا يرثي لحالنا، ويقول أن الشقة بعدت بيننا وبين أبنائنا، فما الله هو الذي أراد أن تبتعد الشقة، وما الأولاد هم الذين فروا من دائرتنا ودائرة آبائهم، ولكن الآباء هم الذين خانوا مسؤولياتهم. وذلك بتنازلهم عن السلطة الأبوية التي يجب عليهم أن يمارسوها في كل وقت وحين، تبعاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

هذا هو المنكر وهذه هي وسائل تغييره، ولكن هل وسائل التغيير كلها بيدنا ؟ أم لم يعطنا الله سبحانه وتعالى وسائل سماوية تعيننا على ألا يكون هذا المنكر، الا ينتشر المنكر، الا تقوم بالمنكر ؟ بلى ! قال الله عز وجل : «**واقم الصلاة. ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر. ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**».

أما «**أقم الصلاة**». فقد قيل فيها ما قيل. وقد سمعنا ثلاثة من العلماء تحدثوا عنها باسهاب وبكيفية هائلة تجعلنا في غنى عن تفسير...

«**أقم الصلاة**» الا أنني أريد أن أعطي هنا تشبيها إداريا وسياسيا مرة أخرى في إقامة الصلاة. يقولون «**ان المصلي يناجي ربه**» أنا أقول قبل هذا كله المصلي يقف أمام ربه خمس مرات في اليوم. فلا يمكن مثلا أن نقبل من الموظف أو من الضابط أو من الشرطي أو من الوزير أن لا يرجع إلينا مرات ومرات في اليوم ليطلعنا

على ما قام به من عمل في الوقت الذي نسمح لبشر، وزيره هو الله، ومديره هو الله، ومليكه هو الله، ألا يقف أمامه خمس مرات ليتلو عليه تقريرا ويقول له : ها ما قمت به اليوم، وها ما قمت به.

هذا هو الحد الأدنى من الواجب أما المناجاة، فهي الطبقة الثانية، ولنا في حياتنا اليومية أمثلة، فكم منا من رئيس، يأتي عنده موظف فيقرأ عليه تقريرا. فإذا كان الموظف من المقربين — كيفما كانت مكانته الاجتماعية — تناجي معه مديره وتذاكره. وإذا كان من الذين يتعاطون للمهنتهم بضمير مهني فحسب، ولم يكن من المقربين اكتفى منه المدير أو الوزير بأن يتلقى منه تقريره، وقال له : اذهب إلى حال سبيلك.

فالوقوف أمام الحضرة الالهية — قبل كل شيء — والمناجاة تأتي من بعد.

وهنا — وهذا تطفل وفضول مني اسمحوا لي به — هنا : أريد أن أذكر شيئا من الفقه المالكي كما يطبق عندنا في المغرب.

قرأنا في ابن عاشر :

«وكرهت بسملة تعوذ» إلى أن قال :

تشبيك أو فرقعة الأصابع   تخصر تغميض عين تابع

يجعل بعض المفسرين أو تلاميذ الامام مالك رضي الله عنه، أن تغميض العينين مكروه في الصلاة. والحالة أن تغميض العينين والظلام عند الصلاة ربما يعين المسلم، في أول حياته في شبابه، أن يخلق ذلك الجو الذي من شأنه أن يخلق تلك المناجاة شيئا فشيئا.

فحضرة الله، ليست كقاعة السينما لا يدخلها من أراد وكيفما أراد. بل ندخلها تدريجيا، بعمل مستمر، وأحيانا نظن أننا دخلناها ثم نلتفت، فنجد أنفسنا لم ندخلها بعد، وإنما تصور لنا أننا دخلناها، وقال في هذا الامام الغزالي رحمه الله : **إذا كان من الشيء ما يمكن أن يقربك من الله، في صلاتك وهو أن تغمض عينيك أو تصلي في محل لا ضوء فيه فافعل.**

فأنا أواخذ على تلميذ الامام مالك عبد الرحمان بن القاسم رحمه الله، وعفا عنا جميعا أنه جعل تغميض العينين من المكروه، كما أنه خالف في الصلاة قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : **«صلوا كما رأيتموني أصلي»** وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبض في صلاته.

فقالوا مازال صلى الله عليه وسلم يقبض حتى قبض بمعنى حتى مات.

وعند قوله صلى الله عليه وسلم : **صلوا كما رأيتموني أصلي»** هناك جزئية لطيفة.. لم يقل **صلوا كما أصلي**، إذ صلاته صلى الله عليه وسلم أعظم من كل صلاة، مناجاته أعمق من كل مناجاة، خشوعه صلى الله عليه وسلم أكبر وأعظم من كل خشوع، كما قال البوصيري :

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى   أن اشتكت قدماه الضر من ورم

بل قال : **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**.

لقد حاولت أن أعرف معنى القبض، فقال البعض : ألا يعبث المرء بيده عند صلاته وكذا. أظن لا : فالنبي صلى الله عليه وسلم كجميع الأنبياء والرسل كانت لهم معرفة دقيقة بالرياضات فكانوا يصومون ويواصلون

الصيام، وكانوا يمشون كثيرا على أرجلهم، وكانوا يعتزلون الناس والنساء فترات طويلة فكأنما كان عندهم شيء من العلم بما يسمى «اليوكا».

ورياضة «اليوكا» تقتضي أول ما تقتضي بأنه إذا كان الانسان يفكر، وكان دمه يدور مع روحه، فهو بمثابة أسلاك كهربائية فمتى شد على أعضائه كلها، لم يضع شيء من تلك الطاقة الكهربائية التي تلقى على الأرض فيضيع ضوؤها، وتضيع قوتها، ولا يكون ذلك الدوران الروحي والمادي في القلب الذي يخلق التخشع، والذي يجعل الانسان يصبر على الجوع ويصبر على البرد ويصبر على التّعب.

ولنعد إلى الآية الكريمة «**أقم الصلاة. ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر**» وسنفسر المقصود بهذه الآية، «**ولذكر الله أكبر**» لقد اعتقد البعض أن من ترك الصلاة فهو مشرك، ذلك أن هناك حديثاً نبويا يقول : «**بين المسلم والمشرك ترك الصلاة**».

وجاء في الفقه الاسلامي أن من ترك الصلاة قتل.

قال الشيخ خليل : ومن أقر بوجودها وامتنع من أدائها قتل بالسيف حدا ولو قال أنا أفعل، وصلى عليه غير فاضل ولا يطمس قبره بمعنى يبقى قبره عبرة لمن يعتبر، والصلاة على جنازته تجعل جميع المسلمين يفرون منها حتى لا يقال في فلان أنه غير فاضل فصلى على فلان، «**ولذكر الله أكبر**» فمن لم يذكر الله في صلاته فمتى سيذكره ؟ فإن لم يذكر الله ذكر نفسه، فهو أناني، وان لم يذكر الله ربما يذكر الطبيعة، فيصبح من أولئك الذين قالوا : «الأرض تبلع، والأرحام تدفع، وما يهلكنا إلا الدهر» فصار دهريا مشركا والعياذ بالله.

فمن لم يذكر الطبيعة ذكر التاريخ والمادة وأصبح ماركسيا لا يعرف للدين قيمة، ولا يعترف للروح بقيمة فأصبح مشركا — والعياذ بالله — لذلك قيل : إن الفرق بين المسلم والمشرك ترك الصلاة.

ولكن المشكل هنا ليس هو إقرار الصلاة، أو تبيين الحد لترك الصلاة، بل المشكل هو أننا نرى الناحية الأخلاقية. في العالم الاسلامي نرى الشباب بكيفية عامة — وأقول بما أعلم في المغرب — ربما عسروا عليه الأمور، ولم يفسروها فا «اللهم يسر ولا تعسر». **يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا بلالا حينا نام الجميع ولم يستيقظوا حتى أيقظتهم الشمس. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا بلال ؟ قال أخذ بعيني الذي أخذ بعينك يا رسول الله، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الصبح فصلى الناس.**

ويقولون أن الصلاة إذا لم تؤد في أوقاتها فهي باطلة. لماذا ؟ ! فهل يعقل مثلا أن سائق «الكارافيل» يترك طائرته تذهب كما تريد ويصلي ؟ ! هل يعقل أن سائق القطار يترك قطاره يسير على هواه ويصلي ؟ ! هل يعقل أن الرجل الذي في المعمل — وقد أتعب نفسه في أن يحرك محركا من المحركات فيسكته حتى يصلي ؟ ! حتى يضيع ساعة أو ساعتين في إعادة تسيير ذلك المحرك ليؤدي صلاته !.

هذا نوع من المبالغة، ومن الغلو من شأنه أن ينفر الشباب — الذين في جبلتهم وفي طبيعتهم أن يكونوا نافرين من الديانة —. أظن شخصيا أن الصلاة — قبل كل شيء — هي تعود في الأول، فلنصل، لنعود أنفسنا على الصلاة دون أن نبحث عن مناجاة وعن ملاقاة. فلنقل في أنفسنا : وجب عليك يا فلان أن تقف أمام القبلة، وتأتي الركعات الضرورية وتقرأ الفاتحة، والشيء الذي تعلمه من القرآن فان لم تكن تعلم سورة، فالفاتحة كافية. فإذا نحن تعودنا أن لا يطيب لنا منام بالليل حتى نصلي العشاء نكون إذ ذاك وصلنا إلى درجة تؤهلنا لأن نعطي لتلك الصلاة قيمتها. ثم نتذوق حلاوتها، وندرك كنهها وسرها.



فبإيجاز — كما رأينا في هذا الحديث — أمكننا أن نتناوله من جوانب تنظيم الدولة الاسلامية والمجتمع الاسلامي في قرننا هذا بالأخص... من باب تعريف المنكر، وكيفية مشاهدته ومن باب : ان الدين الاسلامي هو دين جماعة قبل أن يكون دين اجتماع — **«والدليل على هذا أن صحابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أو يزني المؤمن ؟ قال : نعم. قال : أو يسرق المؤمن ؟ قال : نعم. قال : أو يكذب المؤمن ؟ قال : لا»** فإذا أخذنا الحديث على ظاهره نجد أن الزنا ذنب اجتماعي، وليس ذنبا جماعيا حيث أنه يهم الفردين. وان السرقة ذنب اجتماعي يهم السارق والمسروق منه ولكن الكذب من شأنه أن يأتي على قرية كلها. ونقول كقول الشاعر :

وكذب قالـه سفهـاء قــوم — وحل بغيره قائله العــذاب

ولكن إذا نحن تعمقنا في هذا الحديث نجد النبي صلى الله عليه وسلم استعمل معنا طريقة غير مباشرة وذلك بأنه قال : «أو يسرق المؤمن. أو يزني المؤمن ؟» قال : نعم. أما الكذب ! فلا. لكن إذا نحن نظرنا بإمعان نرى الزنا يكون مبنيا على الكذب، والسرقة تكون مبنية على الكذب، والاختلاس، ففي كليهما الكذب، فصار المؤمن الذي لا يكذب يستحيل عليه أن يزني ويسرق. وفي كلتا الحالتين يظهر أن الاسلام دين جماعة ودين اجتماع ودين حشمة.

وأنا لا أرضى عن فتياتنا وأمهات أبنائنا أن يخرجن في الشوارع بما يسمى «بالمينوجوب» ولا أرضى عن أمهاتنا وفتياتنا أن يخرجن إلى الشوارع على الكيفية المزعجة المتحدية لا للطبيعة البشرية ولا لنزوات الرجل فقط إذ المرأة كلها تحدي. سواء خرجت بحجاب أم بغير حجاب. لكن هذا التحدي للأخلاق وللصبيان وللأطفال الذين يشاهدون أمهم في تلك الحالة وخالتهم وعمتهم... أمر غير لائق ولا مقبول، خاصة وأننا نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يضيق علينا ديننا، بل جعله صلى الله عليه وسلم دينا سمحا **«ما جعل عليكم في الدين من حرج»**.

فعلى من أراد أن يأتي بمثل هذه الأمور رغم الوازع الديني، ورغم الوعظ والارشاد فليستتر في قعر بيته، وليلبس ما شاء في بيته وليقل ما شاء في بيته. فليرقص ما شاء من الرقصات في بيته، أما أن يأتي بذلك أمام الناس فهو تحد لله، وتحد لاستمرار الفضيلة الاسلامية، هذه الفضيلة هي التي جعلتنا أمة — كيفما كان الحال — لازالت تطمع في خير الله وتطمع في رحمته.

لقد ألفنا ونحن صغار أن نستيقظ في رمضان، وغير رمضان، فنجد خادمتنا أو مرضعتنا تصلي. وألفنا في الليلة السابعة والعشرين من رمضان أن نسمعها — كما يقول العامة — وهي تناجي «سيدنا قدر» بمعنى ليلة القدر وتقول لنا ونحن صغار : اطلبوا ما شئتم — سيدنا قدر — سوف يعطيه لكم. فمن شب على مثل هذه الأخلاق ومن رأى مثل هذا، ومن أنس في أهله وفي عشيرته وفي أقاربه مثل هذه الأعمال سهل عليه أن يلقنها لأبنائه. أما إذا نحن بقينا على هذا النحو الذي نسير عليه وإذا بقيت تعاليم الاسلام مهملة، وإذا بقي التعليم الاسلامي مهملا فسوف يحق علينا قول الله سبحانه وتعالى **«ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم»**.

لذلك قررنا أن نصدر أمرنا بمجرد انتهاء هذه العطلة بإقامة الصلوات رسميا في جميع المدارس الموجودة في المملكة المغربية ابتدائية كانت أم ثانوية أم عالية. وسوف يكون مسؤولا عن تنفيذ هذا القرار وزير التعليم أولا، والمديرون ثانيا. فإن لم يغيروا هذا المنكر وهو ترك الصلاة، فالله يتولاهم وان سمعت بعدم تغييره غيرته.



ثانيا : يجب علينا أن نعتز في كلياتنا وجامعاتنا باللغة العربية وبالمعرفة العربية. وذلك بأن نزيد في برامج الكلية مادة. وهي مادة الحضارة الاسلامية أو العلم الاسلامي — والاسم لا يهم هنا — فنجعل منها مادة أساسية في الامتحان أي أنه من لم يحصل على نقطة معدل في تلك المادة يسقط في الامتحان كيفما كانت نقطه الأخرى.

فإذا نحن قمنا بهذا، وقام معنا الآباء في بيوتهم، والولاة في عمالاتهم والقضاة في محاكمهم فسيقع شيء غريب، هو أننا سنوقع — مع الله في دفتر واحد — فالله سبحانه تنازل، وقال : سوف أتعاقد معكم على شيء. وسوف أضع توقيعي على ذلك الشيء وهو سبحانه تعالى لم يأت بهذا التعاقد في حديث نبوي ولا في حديث قدسي، بل سجله في دفتر المحافظة الالهية في دفتر القضاء الالهي في القرآن الكريم حيث قال : **«إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يوتكم خيراً»**.

فالله سبحانه وتعالى نسأله أن يلهمنا حتى نعمل الخير فيصير الخير في قلبنا، وينمو في قلبنا، فيكون في قلبنا الخير العميم ويكون الله سبحانه وتعالى إذ ذاك، علم في قلوبنا خيراً، فأعطانا خيراً.

اللهم اهدنا. اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

اللهم ارحم جلالة والدنا. اللهم جازه عنا جميعا خير الجزاء. اللهم اننا نعترف أن لا فضل لنا، ولا قوة لنا، ولا حول إلا ما أعطيتنا أنت من فضل ومن قوة ومن حول، وما أعطيته لنا بكيفية غير مباشرة على يد عبدك محمد الخامس طيب الله ثراه.

اللهم إنه كان يخشاك، فأعطه على قدر خشيته إياك. اللهم إنه كان يحب نبيك وصفيك صلى الله عليه وسلم، فأعطه بقدر محبته.

اللهم انه كان يتلو كتابك، فأعطه على قدر تلاوة كتابك. اللهم انه كان يحيي سنتك، فأعطه على قدر ما كان يحيي سنتك. اللهم إنه كان يأخذ بيد الضعيف في سبيلك، فلا تجعله من المستضعفين يوم القيامة.

اللهم إنه كان يحارب القوى في سبيلك فقوه يارب يوم القيامة.

اللهم انه بيض وجهنا بين الأمم فبيض وجهه يوم تسود وجوه وتبيض وجوه.

اللهم انه أنار لنا الطريق، فأنر طريقه، ونور ضريحه.

اللهم انه أرانا للعالمين في مجد وفي حلة الكرامة، فأره اللهم وجهك، وتجل له يا ذا الجلال والاكرام.

اللهم اجعل دعواته ورضاه حافاً بشعبه حافا بهذه الأسرة، حافا بعبدك المتوكل عليك، الخاضع لك، المطيع لك، المذنب كجميع العباد، والمستغفر بقلبه وجوارحه حتى يكون لنا ذلك سددا وعونا وحتى يمكننا أن نسير في تواضع وفي اطمئنان ونزاهة واستقامة، وأن نكون من تلك الحلقات المتواضعة التي يربط بها الله الحاضر بالماضي، وبها يحيي الأمجاد للأمة الاسلامية. اللهم وفق بين قلوب ملوك ورؤساء المسلمين.

اللهم إنك تعلم — وأنا في نفسي أعرف هذا لأنني زميلهم — اللهم إنك تعلم أن هدفهم واحد، وقبلتهم واحدة، ولكن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. اللهم أبعد الشيطان عنا : شياطين الجن، وشياطين الانس.

اللهم اجعلهم يتحدون حول كتابك... فنحن جربنا السياسة، ففرقت بين صفوفنا فلنجرب الدين، والملة، لعل الملة والدين والكتاب العظيم والسنة النبوية تجمع من شملنا ما تشتت.

اللهم اهدنا سواء السبيل. اللهم جاز العلماء والأساتذة الذين ألقوا دروسا أمامنا ونوروا بذلك أفكار شعبنا وأمتنا. اللهم اجزهم أحسن الجزاء.

اللهم اجعله علمهم الذي يعملون به.

اللهم اجعلهم في الصالحين والأولياء والشهداء الذين يكونون بجانب نبيك صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. ولا تخزنا يارب واجعل في قلوبنا خيرا حتى تعطينا خيرا، ونصبح مشرفين مكرمين بأن نضع توقيعاتنا مع توقيعات الاله في «كناش» المحافظة الالهية في دفتر القضاء السماوي «ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا».

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأحد 12 رمضان 1386 — 25 دجنبر 1966